

# نظرات في كتب المعرب

د. ممدوح خسارة\*

تعريب الكلمة الأجمية « أن تتفوه بها العرب على منهاجها (١) » أي أن تخضعها لقواعد النطق العربي صوتياً وصرفياً . وتلجأ العربية إلى التعريب عندما تفد عليها مسميات أجنبية لما لم تعرفه في بيئتها ، وعندما يقصر اللغويون عن إيجاد المعادل اللغوي العربي لها .

وهذه الظاهرة (التعريب) تمنى السماح لبعض الكلمات الأجنبية بدخول العربية لتصبح جزءاً منها تسري عليها معظم أحكامها ، ويقابلها (التعجيم) ، وهو دخول كلمات عربية إلى اللغات الأجمية ، ذلك أن تقارن الكلمات ظاهرة لغوية عالمية .

وقد دخلت لغتنا منذ القديم كلمات أجمية ، شذت بها اللسان العربي ، وأطلق على نوعها اسم (المعرب) مثل: سندس وإقليد ودينار . حتى إن بعضها غابت عنه سمات العجمة تماماً فصار مما يصعب تمييزه من العربي الصريح .

حظي المعرب باعتباره أحد بحوث ذمة اللغة ، بعناية مؤلفين على مختلف العصور إذ لم يغفل عصر من لغوي بحث في المعرب . ولكن المصنعة كانت هي الغالبة على جهودهم ، ولم نجد من قعد لهذه الظاهرة اللغوية ودرسها من القدماء ، سوى أحكام متفرقة حول تعريف التعريب وكيفية تمييز الكلمة

المعرّبة أو الدخيلة من الكلمة العربية . وكنا لاحظنا أن كتب المتقدمين تجمع بين المرّب والدخيل دائماً ، وتخلط معهما الموائد أحياناً ، وأن معظمها اعتمد على الجمع ، ولم يكن له من منهج في إثبات عجمة كلمة ما إلا النقل عن المتقدمين ، أما تحليل البنية الصوتية للكلمة فكان له مكانة ثانوية في إثبات عروبة الكلمة أو عجمتها ، وأهم هذه الكتب (٢) :

- - العرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي ( ٥٤٠ ) هـ .
- - حاشية ابن برّمي على العرب للجواليقي ( ٥٨٢ ) هـ .
- - التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل للبشبيشي ( ٨٢٠ ) هـ .
- - المنهذب فيما وقع في القرآن من العرب للسيوطي ( ٩١١ ) هـ .
- - رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا ( ٩٤٠ ) هـ .
- - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الغفاجي ( ٩٤٠ ) هـ .
- - قصص السبيل فيما في العربية من الدخيل لمحمد الأمين المعبّتي الدمشقي ( ١١١١ ) هـ .
- - الطراز المذهب في الدخيل والعرب لمحمد النهائي العليبي ( ١١٧٤ ) هـ .

مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

وهو مخطوط . وأهم ما يؤخذ على هذه الكتب :

أ - أنها اعتمدت النقل غالباً في تحديد عجمة الكلمة أو عروبتها دون أن يوضع النقل على محك النقد . جاء في معرّب الجواليقي : الخير : الفضل والكرم : ذكر أبو عبيدة أنه فارسي معرّب (٣) « مع أن ابن دريد صاحب الجمهرة التي هي أحد مصادر الجواليقي قال : « وزعم أبو عبيدة أنه فارسي معرّب » (٤) . والفرق واضح بين مدلولي كل من ( ذكر ، وزعم ) ، ولا يخفى على مثل الجواليقي لو أراد تدقيقاً . وجاء في المرّب أيضاً « أخبرنا جعفر بن أحمد بن عبد الباقي ابن فارس عن ابن حسنون عن ابن عزيزي قوله تعالى : ( طُوّبَى لِهَمْ ) قال : قيل طوبى اسم الجنة بالهندية » (٥) .

وقد ذكر الجواليقي هذا النقل دون أن يعارضه بأقوال النحاة في كلمة

طوبى) من أنها (فعلتى) من (الطيب) وأصلها (طَيْبَى) فقلبت الياء للضمة قبلها واوا ، وعلى هذا البناء جاءت مصادر عديدة في العربية مثل (رُجْمى) .

ب - عدم اعتماد المنهج الصوتي - إلا نادراً - في الحكم على أصالة الكلمة أو عجمتها . والضوابط الصوتية التي كان الجميع عالةً فيها على الخليل وسيبويه ، لم نجد من أعطاهما الأهمية الكبرى في الحكم على الكلمات ، اللهم إلا أن يذكرها في مقدمات كتبهم تمهيداً<sup>(٦)</sup> .

ج - التسرع في ادعاء التعريب : وقد شارك القدماء في هذا المآخذ بعض المحدثين . فلو أخذنا بأقوال هؤلاء وأولئك جملة لتوهمنا أن العربية ما هي إلا خليط من معرّبات . هذا التسرع أدى الى التّمحل في الحكم على بعض الكلمات مثل كلمة (الكنز) ، إذ قال الجواليقي « هو فارسيٌّ معرّبٌ »<sup>(٧)</sup> فملّق محقق كتابه الأستاذ أحمد محمد شاكر عليه في حاشيته : « وهي كلمة عربية لم يدع عجمتها غير المؤلف فيما أعلم . قال الراغب : وأصله من : كنزت التمر في الوعاء »<sup>(٨)</sup> . ومن هذا القبيل قول الجواليقي : « قال ابن دريد : اللّوز المعروف معرّبٌ »<sup>(٩)</sup> فعقب محقق كتابه : « لم يقل ابن دريد هذا ، وإنما أخطأ المؤلف في أنهم كلامه ، ففي الجمهرة : (واللّوز عربي معروف) وإنما أوقع المؤلف في الروم قول ابن دريد في الجمهرة (٥٠٢/٣) فيما أخذه العرب من السريانية ؛ (واللّوز الباذام) فهو يسريد أن (الباذام) اسم اللوز في السريانية »<sup>(١٠)</sup> . ومنها « الأشائب : الأخلاط من الناس . قيل : إنها فارسية معرّبة أصلها (أشوب) »<sup>(١١)</sup> ، مع أن جذر الكلمة وتصريفاته في العربية واضحة نحو : شاب ويشوب وشائبة ، وكلها تدور حول أصل واحد هو الخلط والمزج<sup>(١٢)</sup> .

ومن ادعاء التعريب على الشبهة ما جاء في (المعرّب) : « قال أبو بكر : قال قوم : التّخّم واحد التّخوم ، وهي حدود الأرض ، عربي صحيح ، وأنكر ذلك قوم وقالوا : التّخّم أعجمي معرّب ، والأول أعلى وأفصح . وقال الكسائي وابن الاعرابي : هي التّخوم بفتح التاء والجمع التّخّم . وقال

الفرءاء : التخوم واحدا تخم . قال أبو عبيدة : وأصحاب المربية يقولون هي التَّخوم بفتح التاء ويجعلونها واحداً ، وأهل الشام يقولون : هي التَّخوم ويجعلونها جماء ، الواحد تَخْم . يقال : هذه القرية تتاخم أرض كذا وكذا أي : تحادها» (١٣) . إن كل هذه الأقوال والنقول لم تشفع لكلمة (التَّخْم) عند الجواليقي ، ولم تحل دون أن يطردها من واحة العربية الفسيحة .

لكن تقحُّمات الجواليقي تبدو أقل اعتباراً من تقحُّمات السيوطي في كتابه (المهذب فيما وقع في القرآن من المرَّب) . إذ عدَّ كلماتٍ مثل (يَصْدُقُونَ) معرفة من الحبشية (١٥) و (القيثوم) عن السريانية (١٥) ، و (حرام) من الحبشية (١٦) ، و (الرحمن) من العبرية (١٧) و (سَجْدًا) من السريانية (١٨) و (العلمي) من الهندية (١٩) . ولم يكن له من سَنَد في هذه الادعاءات الا قول أو نقل عن مجهول أو متسرِّع . وكان الأخرى بالسيوطي وغيره أن يتكفوا عن مثل هذه الأحكام الفطرية ، لا سيما عندما يتعلق الأمر بكتاب الله الكريم المنزَّل بلسان عربي مبين . لقد حاول محقق كتاب ( المهذب ) الدكتور التهامي الراجحي الهاشمي أن يُعيد كل كلمة يعرفها إلى أصلها في اللغات التي درسها وهي العبرانية والسريانية ، محاولاً تسويغ بعض نزاع المصنِّف : مع أن اللغات التي يدعى أنها عربيتُ منها هي في الغالب لغات عربية قديمة يطلقون عليها اسم ( الساميات ) ، ومن أصعب الأمور الجزم بتأصيل مادة لغوية في واحدة منها دون الأخرى ، فما يدرين أن الساميات الأخرى هي التي أخذت هذه الكلمات من أختها العربية ؟ ونحن نميل إلى ذلك لأن من مقاييس معرفة لغة الأصل لكلمة ما ، وفرة اشتقاقاتها في تلك اللغة (٢٠) . فهل ثمة أكثر اشتقاقاً من مواد : ( قام وسجد وحرَّم وصدَّ ورحم وبلع ) في العربية ؟ إن التسرُّع في ادعاء التمریب أدى إلى اقحامهم في المرَّب ما شك القدماء

أنفسهم في أنه معرّب ، وهو ما عبّروا عنه بقولهم عن بعض المرّبات : « ليس  
بعربي محض (٢١) » أو « لا أحسبه عربياً صحيحاً » (٢٢) .

وفي الجزء الثالث من مجلة مجمع القاهرة بحث عن الكلمات اليونانية في  
العربية ، لا يقلُّ غرابة عما ذهب اليه السيوطي ، إذ يذكر كاتب المقال (١٢٩)  
كلمة يذهب الى أن أصلها يوناني منها : (إزميل ، بُرج ، بطاقة ، تُرس ، ترف ،  
جنس ، جسر ، جِزية ، زكاة ، زوج ، قلم ، قمّة ، قميص ، كيس ، مندبل ،  
نافورة . . . ) (٢٣) .

والذي يبدو لنا أن ما سن دارس للغة أجنبية ووجد فيها كلمة قريبة من  
العربية إلاّ عدها أصلاً لنظيرتها العربية لا العكس . ألم نقل إننا لو سلّمنا بكن  
ما يقوله مصنّفو المعرّب ، لكان جنل لغتنا معرّباً بل كله على ما ذهب اليه  
المجمعي الصحافي عبدالقادر المغربي !

أجل ، نحن نعتقد أن أصل اللغات واحد ، فالله سبحانه وتعالى قد « علّم  
آدم الأسماء كلّها (٢٤) » ولكننا نعتقد أيضاً أن هذه اللغة الأم قد تباعدت الى  
لهجات ، وازداد التباعد على مرّ المصوّر حتى غدت كلُّ منها لغة قائمة بذاتها  
لها قوانينها الصوتية والصرفية والنحوية ، وأنه في الحالة التي تصبح فيها اللهجة  
مُتَمَدّة ضمن أطر تميزها من غيرها فانها لا تمود لهجة بل لغة تزود  
خصوصية مع الأيام وتتباين من الأصل تبايناً يصعب معه تبيين الخصائص  
المشتركة فيما بينها .

د - حشر أسماء الأجناس والأعلام ضمن المرّبات مما يُكثّر عددها دون  
مسموّغ « حيث لا يتوهم أحد أنها عربية » (٢٥) . فقد حشدوا في كتب المعرّب  
مثل ( مجوس وسابور وسمرقند ) (٢٦) . ان حشر أسماء الأعلام في كتب المعرّب  
بالإضافة الى ما لمسنه من تمخّل في تعريب أسماء المعاني جعل نسبة المعرّب

أكبر من واقعها الفعلي . ولو استثنينا أمثال هذه المرربات من ( معرّب  
الجواليقي ) وغيره لانخفضت نسبته عند القدماء الى ما لا يزيد عن كلمة  
معربة واحدة في العام .

هـ - عدم الدقة في تأصيل الكلمات المرّبة في لغاتها ، فقد نسبت كلمة  
واحدة هي ( القنطار ) الى السريانية والبربرية والرومية (٢٧) . وقد لاحظ  
بعض القدماء مثل هذه المفارقات ، وثمة نص في فقه اللغة يصرّح فيه الثعالبي  
بهذا النوع من الغلط اذ يقول : « وكانت السادة من العرب تلبس العمائم  
( المهرّاة ) وهي الصنّفَر ، فزعم الأزهري أن تلك العمائم المهرّاة كانت  
تُحمل من ( هَرَاة ) فاشتقوا لها وصفاً من اسمها . وأحسبه اخترع هذا  
الاشتقاق لبلده ( هَرَاة ) كما زعم حمزة الأصبهاني أن ( السام ) الفضة هو  
معرّب من ( سيم ) . وانما تقول هذا التعريب وأمثاله تكثيراً لسواد المرّبات  
من لغات الفرس وتعصباً لهم ، وفي كتب اللغة العربية أن السام عروق  
الذهب » (٢٨) . نحن لا نطالب القدماء أن يؤصّلوا بدقة لكل كلمة معربة ؛  
لكن اطلاقهم أقوالاً متناقضة يجعلنا لا نطمئن كثيراً الى مجمل احكامهم حول  
التمريب .

هل تستطيع هذه المأخذ على كتب العرب أن تقنع الباحثين بان يلتمسوا دليل عروبة  
الكلمة وعجمتها اعتماداً على منهج صوتي صرفي ، فينعكم على ما وجد له جنر  
واستقاقات في العربية الاحتجاجية بانه عربي ، مع صرف النظر عن وجود نظائره في لغات الآخرين؟  
اذ لا شيء يمنع أن تكون تلك اللغات قد أخذته عن العربية . وأمامنا حالات من هذا  
النوع منها كلمة ( الميسك ) اذ عدها بعض لفويشي العرب فارسية معربة ، بينما يقول  
الفرس هي عربية منجّمة (٢٩) .

★ ★ ★

## □ العواشي :

- ١ - ابن منظور - لسان العرب : عرب ومثله تاج العروس: عرب .
- ٢ - عيسى اسكندر المعلوف - اللهجة العربية العامية - مجلة مجمع القاهرة ١٩٥٤-٣٥٥ .
- ٣ - الجواليقي - المغرب : ١٧٦ .
- ٤ - المصدر السابق نفسه - حاشية (٩) للمحقق احمد محمد شاكر .
- ٥ - المصدر السابق نفسه : ٧٧٣ والكلمة من سورة الرعد الآية ٢٩ .
- ٦ - ينظر مثلا : الغفاجي - شفاء الغليل : ٢٧-٢٨ .
- ٧ - الجواليقي - المغرب - ٣٥٤ .
- ٨ - المصدر السابق نفسه .
- ٩-١٠ - المصدر السابق نفسه : ٣٤٧ والحاشية (٣) فيها .
- ١١ - الجواليقي - المغرب : ٧٥ .
- ١٢ - ابن هارس - المقاييس : شوب .
- ١٣ - الجواليقي - المغرب : ١٣٥-١٣٦ وفي لسان العرب : تخم : ، الثخوم ... وقيل واحدها تخم وتخم .
- ١٤ - السيوطي - المذهب : ١٦٥ .
- ١٥ - المصدر السابق نفسه : ١٣٤ .
- ١٦ - المصدر السابق نفسه : ٨٢ .
- ١٧ - المصدر السابق نفسه : ٩١ .
- ١٨ - المصدر السابق نفسه : ٩٥ .
- ١٩ - المصدر السابق نفسه : ٦٧ من قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلغي ماء ك » في سورة هود/ ٤٤ .
- ٢٠ - د. مسعود يوبو - اثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج : ٩٧ .
- ٢١ - الجواليقي - المغرب : ٧١ وذلك قوله عن (الانليم) .
- ٢٢ - ابن هويد - الجمهرة ٢: ٢٤٣ قال : « فاما قول العامة ختمتت كذا تخميننا اذا حزرته ، فلا احسبه عربياً صحيحاً .
- ٢٣ - ينظر مجلة مجمع القاهرة ١٩٣٩:٣-٣٤٨ .
- ٢٤ - البقرة - الآية ٣١ .
- ٢٥ - الجواليقي - المغرب : ٥ مقلمة الدكتور عبدالوهاب عزام .
- ٢٦ - ينظر على التوالي : المغرب : ٣٦٨ - شفاء الغليل : ١٤٧ و ١٤٩ .
- ٢٧ - الجواليقي - المغرب : ٣١٨ (حاشية ٣) للمحقق احمد محمد شاكر .
- ٢٨ - الثعالبي - فقه اللغة - ٢٤٣ .
- ٢٩ - د. مسعود يوبو - اثر الدخيل على العربية : ٩٢ .